

أشياء ملفوفة بأوراق بعضها أسود
وبعضها أصفر ، حتى اذا وضعها في رف
القطار الواحدة بجانب الأخرى ،
قال لسيده :

كل شيء معد لك ياسيدي : فني
هذه الصرر الخمسة أشياء :

السكر والملبس ، والدمية ، والطبل ، والبنديقية ،
وأخيراً الفطيرة اللدنة

— حسن جداً يا ولدي .

— أتمنى لك سفراً ميموناً ياسيدي

— شكرآ « يالوران » وأنا أتمنى لك صحة
موفورة . ثم غادر الخادم الفطار بمد أن أغلق على
سيده باب الغرفة .

كان رفيق في السفر في الثالثة والثلاثين من
عمره تقريباً ، على رغم أن شعره وخطأ أكثره الشيب ؛
وكان حسن البزة والشارة غليظ الشارب تبدو عليه
الفراغة والقوة واكتناز اللحم . فبعد أن استقر
ومسح جبينه وراح ينفث في الهواء دخان سيجاره
دمعتي بنظرة هادئة ثم قال :

— لعل دخان سيجاري يزعجك ياسيدي ؟

— فقلت له : كلا ، ولكن ما كنت أنطق حتى
دهشت . ذلك أن هذين العيين وذلك الصوت
وحتى هذه السحنة لم تكن غريبة عني . نعم كنت
أعرفها ولكن أين . . ومتى ؟ وفي الحق لقد بدا لي
أني لاقيت هذا الشاب وكلته وضغطت على يديه
ولكن ذلك كان بعيداً حتى لقد ضاع في ضباب
كثيف يُخيل للفكر معه أنه يتلص ذكريات الماضي
ويتبهما كأنها الأطياف العابرة الهاربة . كان هو
أيضاً يحمدني بنظرة ويتفرس في وجهي متعرفاً .

مَبْتَوِ السَّافِرِ

للكاتب الفرنسي جِي دِي مُوَبَايَان
بسم الأديب السيد كمال الحري

جرت لي هذه الحادثة سنة ١٨٨٢ وكنت
مسافراً في القطار ومنمماً الانزواء بنفسى في
إحدى غرفه ، حين انفتح بابها وسمعت صوتاً
يقول لآخر :

— خذ حذرك من الزال ياسيدي ، فقد بلغنا
ملتقى الخطوط « القص » ثم إن مررتي القطار
صرتفع .

فأجاب صوت آخر :

— لا تخف يالوران فسأعتمد على مقبض عكازي
ثم ظهر لي رأس مستور بقبضة مستديرة ويدان
تعلق بهما سيران من جلد ، أخذتا تعمدان
وتستندان إلى جانبي باب القطار . ثم رفعتا بهوادة
وبطاء جسماً بديناً بمض الشيء . سمعت لوقع أقدامه
الخشبية تقرأ على مررتي القطار . وحين هم الرجل
بالدخول إلى غرفتي أبصرت نهاية بنطلونه المتراخي
فبرزت لي من خلاله رجل خشبية سوداء لم تلبث أن
لحقت بها أختها ، فقلت أن رفيقي مبتور الساقين .
ثم برز لي من ورائه رجل آخر راح يقول له :

— هل أنت مرتاح في جلستك ياسيدي ؟

— نعم يا ولدي

— وإذن فهالك سـررك وهذا عكازك . وهنا
أبصرت خادماً تبدو في سحنته معارف جندي قديم
يصمد إلى صاحبنا حاملاً له بين ذراعيه كدسة من

مسرهما . ثم أخذتُ ظلال النسيان تنحسر عن ذاكرتي شيئاً فشيئاً وإذا بها تتضوء وتستنير بها المسالك فيطالعني من خلال سطورها المحجوة وجه فتاة مليحة، وإذا باسمها ين في سمى ويجرى على لسانى: الآنسة «ماندال» . . لقد ذكرت كل شيء الآن.. وفى الحق لقد كانت قصة غرام تلك التى نسيها أولاً . كانت تلك الفتاة تحب هذا الرجل حين التقت به ، وكان الناس يتحدثون عن زواجهما المنتظر القريب الذى كان يفجر بناييع الفرح والسعادة فى قلب صاحبنا الضابط .

وهنا صوبت بصرى إلى الصرر الموضوعة على الرف فوق رأس الضابط الكسيح . فاذا بها تهتز وتضطرب من حركة القطار ، وإذا بي كأني أسمع الآن صوت الخادم يقول لسيدة :

كل شيء مُعد لك ياسيدى . فى هذه الصرر الخمسة أشياء : السكر، والملبس، والبندقية، والطبل وأخيراً الفطيرة الدسمة . وتألقت فى لحظة بخاطرى رواية لهذا الكسيح الذى أراه أمامى : رواية تشبه الشبه كله جميع ما كنت قرأته فى القصص أو رأيت فى السارح ؛ وذلك إما أن يتزوج الخطيب ذوالماهة خطيبته السابعة أو لا . وإذنى فان هذا الضابط المتور الساقين قد وجد خطيبته بعد الحرب فوهبت نفسها له رغم مصيبتها بساقيه . تمثلت كل هذا جيداً وفى بساطة ، ثم عرض لى فجأة افتراض آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر . أ يكون الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل الفاجعة الأليمة بساقيه ؟ أن تكون الصبية السكينة احتسبت الله فى مصيبتها فيه وخضعت لمشيئة القدر القامى ، فهى تستقبل مكرهه هذا للكسيح الذى غادرها

كأنما داخله من التشكك بمعرفتى مثل ماداخلى . وتضابق نظرانى من هذه الملاقاة الملحة فافترقا . على أنه لم تمض إلا ثوانٍ حتى عادا وتلاقيا ثانية بتأثير حب الكشف والاستطلاع . وابتدرته أما قائلاً :
— يا لله ياسيدى . ألا ترى أنه يحسن بنا بدلا من أن يسارق كل منا صاحبه النظر أن نبحت مما عن المكان والزمان اللذين تعارفنا فيهما أول مرة؟ فأجاب بلطف :

— إنك لمحق ياسيدى . وهنا سميت له نفسى قالت :

— إنى أدعى القاضى هنرى «بونكلير» فتردد برهة ثم قال بعين غائمة بضباب الذكرى وصوت من يحضر ذهنه كي يستذكر شيئاً عفى عليه الزمن :
— آه . . ذكرتك تماماً . فقد صادفك فى «بوانسل» وكان ذلك منذ اثني عشر عاماً قبل الحرب المشؤومة . .

— نعم ياسيدى أوه وإذا فانت الليوتنان فاله ؟

— نعم بعينه ، ثم أصبحت السكابتين «فالاه» قبيل اليوم الذى فقدت فيه ساقى الاثنين باصابة عظيمة من قنبلة حربية .

وهنا حذق كل منا فى صاحبه من جديد بعد هذا التعارف . وتمثل فى خاطرى هذه الساعة منظر ذلك الشاب الجليل اللطيف الذى كان ملء العين والفؤاد بلباقته وخفته وجماله . ولكن وراء هذه الصورة الغامضة الملفوفة بضباب النسيان ، كانت تطفو على ذاكرتى قصة لهذا الشاب ، كنت أعرفها وأنسيتها الآن ، ولكنى لم أنس أنها قصة جذابة الحوادث مغرية رغم قصرها لأن الحب لمب على

خطيبتك تزوجت موسيو ... موسيو ... فلفظ الضابط في سكون هذا الاسم :

— موسيو فلوريل ، أليس كذلك ؟

— نعم هو بعينه . وأذكر أيضاً أني سمعت

في ذلك الحين قصة فاجتكت ، ونظرت إليه من جانب عيني فاذا بالدم يتدفق في وجهه أحمرانياً ، ثم إذا به يجيئني في حية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقاً وفرط في حقّه فيها وهو يريد الآن تبرير موقفه فقال :

— لقد كان من أعظم الخطأ بل والألم أن

يذكروا أُمّاي اسم خطيبتي « ماندا » بعد إذ أُبْتُ من الحرب بدون سابقين ، وبالأسف ، لم يكن يوسى أن أقبل دون ألم وتقرّيع ضمير أن تصبح « ماندا » امرأة . أترى ذلك يكون ممكناً ؟

حين يتزوج المرء يا صديقي لا يفعل ذلك كي يتباهى على الناس بأمرأة جميلة فتاة ! إنما يفعل كي يمشي بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات والدقائق والثواني . فاذا كان الزوج مثلي كئيلة شوهاء مبتورة فانه بزواجه من فتاة ريانة الشباب يكون قد حكم عليها بالألم الممض وقسرها على حياته الناقصة المحطّمة حتى الموت . أنا أفهم وأقدر بل وأعجب بجميع التضحيات ، ولكن حين يكون لها حدود تنتهي إليها . لهذا فانا أستنكر من نفسي أن تحرم فتاة جميلة نفسها لأجل من كل ما تهفو إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملذذ وأحلام للعبا وللجسد أيضاً ، كل ذلك كي يقال عنها إنها عفيفة بطريقة كريهة . ثم كيف أطلب منها هذا وأنا نفسي حين أسمع على أرض الدار وقع عكازي وأنا أمشي وأحجل ، أنا نفسي

ملء الدين ملاحه وسلامة قبل الحرب ، وآب إليها بساقين خشبيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين ؟ أترى سميداً أم مثلاً ؟ ! وقامت بنفسى رغبة لا تقاوم في الاستملاء عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل عن النقط المهمة التي أستطيع أن أبصر على ضوئها ما يود هو إخفاؤه عني أو ما لا يمكنه الإفصاء به . ورحت أكله بأحدث شتى ، بينما عيناى مثبتتان على الصرر الملفوفة التي وضعها خادمه على رف القطار ثم استنتجت من محتوياتها أن له امرأة وطفلين : أما السكر والملبس فلا مرأته ، وأما الدمية فلطفلة ، وأما الطبل والبندقية فلطفله ، وأما الفطيرة الدسمة فله هو ؛ وجأه قلت له :

— لملك أب لمائلة يا سيدي ؟؟

— كلا .

فشمرت بشيء من الحجل والربكة لهذا السؤال كما أني ارتكبت ما لا يتفق وحسن العشرة . لهذا عقيبت :

— معذرة يا سيدي لقد ظننت ذلك مما سبق إلى سمى من قول خادمك وإشارته إلى هذه اللّصّ . وأنت تعلم أن المرء قد لا يملك أذنه حتى ولو لم يرد ذلك . فافترنره عن بسمة راضية ثم قال :

— وما قولك أني لست متزوجاً ؟

وهنا بدت على دلائل الاستدكار والتأمل ، ثم قلت فجأة :

— أوه ! إن ما تقوله الحق ، فحين تعرفت بك كنت عاقداً خطيبتك على الآنسة ماندا فيما أظن ؟

— نعم يا سيدي إن ذاكرتك جيدة جداً .

فاجترأت وتابعت :

وأذكر أيضاً أني سمعت أن الآنسة ماندا

— نهارك سعيد ياغاليه. فأجاب صاحبي الضابط
— سعد نهارك « يا فلوريل ». وكان خلف
الرجل امرأته الجميلة تنقسم له أيضا وهي ترسل
النحيات الحارة من كفها المستورتين بقفازين .
وبجانها طفلة صغيرة كانت تظفر من الفرح والابتهاج
بلقاء صاحبي الضابط وبجانها الآخر صبيان صغيران
كأنا يتناولان بشغف ونهم الطبل والبندقية وقد
برزوا من طرفي الصرر التي تسلمها أبوها فلوريل
وحين هبط الضابط إلى إفريز المحطة أسرع
إليه الأطفال فماتقوه في حبة وألفة وشوق . ثم
أخذت العائلة طريقها إلى المنزل ، وفي أثناء الطريق
أخذت الطفلة تسند بكفها اللينة الغضة مسند عكاز
الضابط الكسبح وقد فاض وجهها بماء الابتهاج
والطيبة والمحبة البريئة
كمال الحبري

حين أسمع هذا الصوت الذي يُشبه وقع أقدام
البنغالير يجيش في نفسي الحق فأود خنق خادى .
وهل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن
تسامح في شيء هو نفسه لا يفتقره لنفسه ،
ثم أتمتد وتصور أن ساق الحشيتين هاتين
جملتان في النظر فانتنان للمين ؟ وسكت وسكت
فا عساي مجيبه ؟ إن كلامه الصدق فهل بوسى
أن ألومه أو أخطئه . ثم سألته فجأة :

— هل لبادام فلوريل خطيبتك المتزوجة أولاد ؟
— نعم ، طفلة وصبيان ، ولؤلؤاء الأطفال
ما أحمل من لعب في هذه الصرر كهدية : إنها وزوجها
طيبان . . وكان القطار في هذا الوقت يصعد ملتحق
خطوط « سانت جرمان » ثم يمضي تحت الأنفاق
المتعاقبة في المحطة . ثم يقف . وعزمت على تقديم ذراعي
نكاسة للضابط الكسبح كي يستمعين عليها في النزول من
القطار لولأن يدين امتدنا من باب القطار المعلق لمساعدته

افراً :

توفيق الحكيم

في كتبه الثلاثة الجديدة :

مهر الشيطان

ثمان النسخة ٧ قروش

تحت شمس الفكر

ثمان النسخة ٨ قروش

تاريخ حياة مصر

ثمان النسخة ١٠ قرشا

تطلب من جميع المكاتب الممهرة

وحى بغداد

صور وجدانية وأدبية واجتماعية

بقلم الدكتور زكي مبارك

يطلب من المكاتب الشهيرة

وثمان النسخة عشرة قروش